مصادر تشريع الديانة المسيحية وأثرها على المجتمع

صادق مكي عليوي ا.د. زمان عبيد وناس

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

الملخص

لا شك ان لمصادر التشريع اثر كبير في شرح وتحديد مضمون الايمان في الديانة المسيحية، وكانت ركائز مهمة للمشرعين ورجال اللاهوت الكنسي ساعدتهم على فرض تشريعات العقيدة المسيحية وتنظيم حياة الفرد المسيحي داخل مجتمعه، فكانت دراسة هذا الموضوع _ مصادر تشريع الديانة المسيحية وأثرها على المجتمع، تتمتع بقدر كافٍ من الاهمية، اذ ناقشت وعالجت اهم الركائز التي اعتمد عليها رجال الدين في بيان تعاليم الشريعة المسيحية واهم قوانينها.

The legalization of Christianity and its affection over the society

Abstract

There was no doubt that the enactment have a great influence in interpretation and identification of the faith core in the Christian belief. Hence, that doctrine has depended upon various resources in the different forms of legalization. So, those resources have assisted the lawmakers and the clergy to impose the Christian codes on the individuals daily life as well as their community. Therefore those enactment are considered as a main part of the Christian law making. In addition, the legalization of Christianity and its affection over the society has gained a big interest by the researchers. This theme treats the most important essentials of the Christian teachings that the religious men still use in expliciting the rules of the Christianity.

المقدمة:

اعتمدت الديانة المسيحية على مصادر عديدة للتشريع شأنها في ذلك شأن جميع الديانات السماوية، وقد تباينت هذا المصادر في اهميتها واختلفت في منزلتها من حفظ العقيدة العيسوية ومحاولة تطبيق القوانين والنظم التي نادى بها النبي عيسى (عليه السلام) على افراد المجتمع المسيحي، فمثلاً كان للكتاب المقدس اثر

كبير ساعد رجال اللاهوت الكنسي على فرض التشريعات والقوانين وإلزام الفرد المسيحي بأتباعها والسير عليها، وكانت احاديث ذلك الكتاب وتعاليمه تنتقل من جيل لآخر على لسان الحواريين واناس قديسيون كما كان الاعتقاد سائداً في اوساط المجتمع المسيحي الي كان يرى عصمة جميع ما جاء به الكتاب المقدس من الخطأ او شبه الخطأ، وهذا الامر يعتقد به السواد الاعظم من المسيحيون الذين كانوا يرون ان تعاليم الرسل تحتل منزلة لا تقل أهمية عن الكتاب المقدس في حفظ تعاليم الديانة المسيحية وفرض التشريعات والقوانين العيسوية على افراد المجتمعات التي تعتنق المسيحية، وهذا الأمر شمل كذلك تعاليم آباء الكنيسة الذي شكلوا حلقة وصل بين الكنيسة وعامة الناس، ولا تنحسر مصادر التشريع بهذه فقط بل كان للمجاميع اثر واضح لحفظ العقيدة والمسيحية من بعض الهرطقات والخرافات التي حاولت الدخول في تلك الديانة، لذا عدت هذه المصادر جميعها رافد هاماً من روافد التشريع المسيحي، اعتمد عليها رجال اللاهوت الكنسي في فرض التعاليم المسيحية على افراد المجتمعات التي اعتنقت تلك الديانة، ولهذه الجزئية الهامة جاء البحث بعنوان مصادر تشريع الديانة المسيحية وأثرها على المجتمع، وكانت الدراسة فيه مقسمة الى مقدمة ثم بيان اهمية الكتاب المقدس كأهم مصدر من مصادر التشريع الذي كان يتمتع بصفة القداسة في مجتمع الكنيسة وعند رجال اللاهوت، بعدها تناول البحث الرسل (التلاميذ) كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع التي احتلت اهمية كبيرة في نقل وحفظ العقيدة المسيحية، وللدور الذي لعبهُ آباء الكنيسة داخل المجتمعات المسيحية تناولهم البحث بشيء من التفصيل لوضعهم الخاص بين اوساط عامة الناس المسيحيون، بعد ذلك تناولنا في البحث المجامع المسيحية بأعتبارها مصدر هام من مصادر التشريع المسيحي الذي كان لها دور كبير في اتخاذ بعض القرارات المصيرية منها ما تمثل بموقف مجمع نيقية من ألوهية النبي عيسى (عليه السلام) وفرض هذه الآراء على جميع رجال اللاهوت واحراق جميع الكتب التي تذهب خلاف ذلك ومعاقبة اصحابها، وختمت هذه الدراسة بخاتمة ذُكرت فيها اهم الاستنتاجات التي توصلنا لها من البحث ثم ذكرنا فيها اهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في تلك الدراسة.

مصادر التشريع في الديانة المسيحية[١]:

لقد احتلت المعتقدات الدينية حيزاً كبيراً في حياة الانسان منذ القدم، اذ لا توجد امةٌ من الأمم لم تحيَ حياة دينية على نحوٍ ما، وتعدد الاديان السماوية بهذه الكيفية، لا يعني انها مجرد خرافات او خزعبلات وأوهام أو أفكار دعت لها امة، او جماعة معينة ظهرت في زمن ما وانتهت، إنما جاءت تلك الأديان بعضها مكملاً للبعض الآخر ولا أعلم أحداً من الأنبياء والرسل جاء بدعوة الحاد او بدعة او تحريف لما سبق به الانبياء(عليهم السلام) من قبلهِ، وقد أشار الله عز وجل مؤكداً ذلك المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢] وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٣] ، وبشكل عام تستند المجتمعات والأمم جميعها الى تشريعات هذه الأديان السماوية على أساس تقليد الأنبياء، ثم الرسل والاصحاب، ثم الاتباع، وهكذا جيل بعد اخر معتمدين على مصادر تشريع لكل دين.

من هذا التقديم البسيط نبتغي الوصول الى نقطتين أساسيتين أولاً انَّ الأديان السماوية بشكل عام لم تأتِ من فراغ او محض صدفة معينة، انما كان لابد لها من إشارات في الأديان السماوية السابقة لظهورها، وثانياً ان جميع هذه الأديان السماوية لها مصادر تشريع تعتمد عليها وتستديم بها، ونحن مالم نفهم هذه الحقيقة سيظل بحثنا عن نشوء الأديان ومصادر تشريعها عبثاً لا طائل منه.

فالمسيحية _موضوع الدراسة_ اعتمدت على هذين الاساسين اذ كان دين النبي عيسى مكملاً لدين النبي موسى _عليهما السلام_ وهذا ما نلمسهُ من قول النبي عيسى _عليه السلام_: لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس او الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل [٤]، الا ان هذه الإشارة لا تعني ان النبي عيسى _عليه السلام_ لم يأتِ للتغير او التعديل وإلا ما الحاجةِ لظهورهِ؟

فقد كانت الحاجةِ مدعاة لنبي يعضد تشريعات النبي موسى _عليه السلام_ الصحيحة ويعدل الشائبة منها ويضيف لها القوانين والتشريعات الضرورية للمجتمع بمحاولة لإنقاذ اعتقاداتهم الدينية من اجل تعديل مسار المجتمع والاخذ به الى بر الأمان فمثلاً قال (عليه السلام): (قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم واما انا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه يكون مستوجب الحكم)[٥] ، كذلك قال: (سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الاخر ايضاً)[٦] وهنا يبدوا جلياً النهج الأساسي الذي دعا اليه النبي عيسى _عليه السلام_ وهو التسامح، إلاّ انَّ هذا التسامح الذي نادى به النبي عيسى _عليه السلام_ لم يكن مطلقاً إنَّما كان مقيداً بشروط وضوابط ولا يمكن ان يكون الغاء لحق القصاص وإلاَّ لتحولت المجتمعات الى الفوضى ولكان ذلك فسادٌ لا اصلاح للبشرية[٧] ، ومن الدلائل على ذلك انتقاد المسيح (عليه السلام) لإمبراطورية الرومان لإقرارهم سلاماً مبنياً على العنف بينما سلام الله مبنياً على المحبة والعدل والعطاء[٨] فالعدل هو أساس دعوة النبي عيسى _عليه السلام_ وهدفها السامي.

الامر الاخر الذي لابد من مناقشتهِ والتركيز عليه والذي يعد اجابة لكثير من الاثارات والتي منها: على ماذا اعتمد النبي عيسى(عليه السلام) لتبليغ دعوتهِ؟ وكيف كانت ردت فعل المجتمع على تلك الدعوة؟ ثم على ماذا اعتمدت المسيحية في تشريعاتها؟ وهل كان للمشرع المسيحي تأثير في المجتمع وتوجيه الناس وفق إرادة الكنيسةِ على اقل التقديرات بالمستوى الفكري العقائدي، اما الجانب العملي فسيظهر ان شاء الله تعالى من البحث؟

تبدوا إجابة هذه الاثارات سهلةً للوهلة الأولى إلاَّ أنَّ الأمور ليست بهذه البساطةِ، سيما إذا ما علمنا ان تعدد مصادر التشريع وتنوعها في الديانة المسيحيةِ واختلاف رجال اللاهوت الكنسي فيما بينهم يجعل الوصول إلى إجابات واضحة أو ثابتة امراً ليس سهلاً، وتبقى محاولات الإجابة مجرد آراء نطرحها معتمدين على ادلة علمية ومرجعية اصولية علنا نثبت ما نذهب اليه من خلال البحث وما يتوفر بين أيدينا من معطيات وأدلة.

ولكي نفهم المسيحية في سياقها التاريخي ينبغي معرفة كيف نجح دعاة المسيحية بشكل عام والنبي عيسى _عليه السلام_ بشكل خاص بتوجيه المجتمع آنذاك وتغير افكارهِ لاعتناق الدين الجديد، مع علمنا بالفارق بين المشرع المسيحي والنبوة الممثلة بعيسى (عليه السلام)

وبدأً نقول: اجتمعت عدة عوامل ساعدت النبي عيسى _عليه السلام_ لنشر الدين الجديد والتبليغ به منها: تميزه منذ البداية بكونه معلما دينياً يختلف عن اقرانهِ اذ كانت الفرصة مواتية له للتعليم في المجاميع المحلية وفي الأسواق المحلية وحيث ما ذهبْ أضف الى ذلك كان للمجتمع دور كبير في مساعدتهِ اذ اعتاد المجتمع على سؤاله أسئلة دينية فضلاً عن موضوعات جدلية لاهوتية[٩]، فكان (عليه السلام) مُرَكِزاً كل حياته على الناس واحتياجاتهم[١٠] فوصلت المسيحية اول الامر عن طريق الحديث والمحاكاة الشفاهية من قبل النبي عيسى(عليه السلام) ومخاطبته لمختلف طبقات المجتمع، وهذا امر طبيعي فجميع الأنبياء(عليهم السلام) كانوا يتكلمون ولم يكونوا كتبة، واقوالهم انتقلت بصورة شفاهية من جيل لآخر حتى دونت فيما بعد من لدن تلاميذهم والاتباع، اما اول الامر فقد كانت للكلمة المنطوقة وضع خاص واثرٌ كبيرٌ اضف لها العمل الصالح الذي يقوم به النبي المرسل كان هو الآخر له اثرٌ كبيرٌ في إيصال الدين الى المجتمع بشكل اكثر سلاسة وبساطة، والمسيحية وصلت للمجتمع الذي كان يعاني من ظلم الرومان وقهرهم بهذه الكيفية وبهذا الشكل اذ قدمها النبي عيسى (عليه السلام) للمجتمع بشكل عملي فأسلوب تعامله مع الناس والجلوس للحديث معهم كان له أبلغ الأثر على عقول المجتمع، ذلك لان النبي عيسى (عليه السلام) كان مدركاً للمشاكل التي يعاني منها المجتمع لذا حاول أنْ يبين أنَّ قوة الله تعالى التي لا تعني عنف ولا طمع ولا استغلال بل حرية وتسامح وعمل وعبادة[١١] فتقبل المجتمع بحدود معينة فكرة الدين الجديد الذي يحمل كل هذه المزايا والصفات المحمودة التي ينشدها ويتوق لها المجتمع.

وعودةً لذي بدء نقول: ان المسيحية اعتمدت على كثيرٍ من المصادر أهمها:

<u>اولاً: الكتاب المقدس</u>

وهو مجموعة أسفار واناجيل من العهدين القديم والجديد، الذي يُعد دستور المسيح وسلطان التشريع الأول، وهو كما عرفهُ علماء المسيحية بأنه رسالة الله (عز وجل) الى الانسان كتبهُ أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس وهو كله موحى به من الله تعالى[١٢] ، فكل ما جاء به يعد عند علماء المسيح قول معصوم من الخطأ او شبه الخطأ[١٣] ، ويعتقد المسيحيون انَّ العهد القديم منه وصل لهم بواسطة الأنبياء الذين سبقوا عهد النبي عيسى _عليه السلام_ ويحتوي هذا العهد على ثمانية وثلاثين كتابا تعرف الاسفار الخمسةِ منه بالتوراة وهي (سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الاحبار، سفر العدد، سفر التثنية) وجميع هذه الكتب الثمان والثلاثين من العهد القديم مسلمة عند جمهور المسيحيين القدماء، اذ كانوا يعدونها في اول الامر من غير سواها مقدسة [١٤]

اما العهد الجديد فيتكون من عشرين كتاب منها الاناجيل الأربع المشهورة (انجيل متى، انجيل لوقا، انجيل مرقس، انجيل يوحنا)، وجميع هذه الاسفار والاناجيل من العهدين القديم والجديد شكلت الكتاب المقدس

الذي يعد كما قلنا مصدراً هاماً من مصادر تشريع الديانة المسيحية، وكان المسيحيون يعتقدون كما أسلفنا القول بقداستها من الخطأ او شبه الخطأ، وأنّها كتبت بوحي والهام اللاهي[١٥].

ثانياً: الرسل (التلاميذ):

اما المصدر الاخر من مصادر تشريع الديانة المسيحية هم الرسل وقوانينهم فهم المبلغون لرسالة المسيح(عليه السلام) وهم سفراؤه الى الناس وعددهم اثني عشر رسولاً(تلميذاً)[١٦]، وإنَّ اعمال هؤلاء الرسل ورواياتهم تتكلم وتروي ما عملوه في حياتهم من اسفار ونشاطات ناعته اياهم بالرجال الالهيين والشهود الحقيقيين على الايمان[١٧]، فالمسيح (عليه السلام) بلغ الانجيل الى تلاميذه وسامعيه والحواريون بلغوا مضمون ذلك الانجيل الى اخلافهم[١٨] وتضم هذه القوانين تعاليم متعددة تنظم حياة الرجل المسيحي وزوجتهِ، كما تنظم الشعائر المسيحية وحياة الاسقف وواجباتهِ وتتحدث عن تدبير أموال الكنيسةِ، كما عالجت كثيراً من طقوس الكنيسة مثل التوبة وصوم أسبوع الفصح وغيرها من الأمور التي تعنى بحياة الناس[١٩]، وقد دونت هذه القوانين على الأرجح بين عامي ٣٠٠-٣٥٠ ميلادي، وسميت بهذا الاسم ذلك لان محتوى القوانين ينسب الى مختلف الرسل[٢٠]، ويُعدون سفراء النبي عيسى (عليه السلام) للناس، الا ان ما يؤخذ على هؤلاء الرسل وقوانينهم انهم اهملوا حياة نبيهم (عليه السلام) فلم يتكلموا عنه وعن أقوالهِ وافعاله، ذلك لان هؤلاء الذين ادعوا انهم رسلاً اهملوا تماماً اقوال النبي عيسى(عليه السلام) اذ عدوه الهاً فلم يقوموا بتدوين وقائع وتاريخ نبيهم وسيرتهِ وكل ما قام به هؤلاء انهم تكلموا عنه بفكرهم ولاهوتهم بمنظار اساطير عصرهم[٢١] ، الاّ إنّه ومما يؤاخذ عليهم وعلى قوانينهم فإنهم يعدون مصدراً من مصادر التشريع المسيحي وقوانينهم تعد اليوم ضمن قائمة المصادر الأساسية للمشرع المسيحي، وهذا يقع في صلب موضع بحثنا اذ ان مواد الحرب العادلة تأخذ من افواه هؤلاء لنقيم بعد ذلك التعليق والتحليل عليها.

ثالثاً: آباء الكنيسة:

ومن مصادر تشريع المسيحية ايضاً آباء الكنيسة أو الآباء الرسوليين كما عرفوا بهذه التسمية، اذ جرت العادة على تسمية معلمي الكنيسة ومؤلفي الكتب المسيحية باسم آباء الكنيسة[٢٢]، وهم كُتابِ المسيحية القدامى الذين عرفوا او اتصلوا بالرسل وبعبارة اكثر ايضاحاً هم كُتاب الكنيسة من نهاية القرن الأول الى منتصف القرن الثاني للميلاد[٢٣]، ومنهم: كليمنضُس اسقف رومية واغناطيوس الانطاكي وبوليكربس اسقف ازمير[٢٤] وقد تولى هؤلاء قيادة الكنيسة واخذوا على مسؤوليتهم نقل الايمان المسيحي، فهم الحلقة الأولى من سلسلة التقليد المسيحي ففي مؤلفاتهم نلحظ كيف فهم المسيحيون الايمان الذي نقلهُ الرسل[٢٥]، فقد عَدَّ رجال الكنيسة انفسهم ممثلين لله (سبحانه وتعالى) فأخذوا حق قيادة أفكار الناس واعمالهم وأعلنت الكنيسة بقوة انها تسيطر على باب الله(عز وجل) وانها منفذ الرحمة[٢٦]، ومعنى هذا انَّ الايمان بات موجهاً ومركزاً عن طريق الكنيسة ورجالها، فقد عُدت كتاباتِ هؤلاء الآباء الأدب الرعائي للكنيسة الأولى، لان لكتاباتهم قرابة

مع الكتب المقدسة كما يقول البعض[٢٧] ومن هنا يمكن القول ان الإباء الرسوليين ومؤلفاتهم شكلت حلقة وصل بين الكنيسة وعامة الناس لذا امكننا ان نعدهم من مصادر التشريع المهمة للديانة المسيحة .

رابعاً: المجامع:

ومن مصادر التشريع ايضاً المجامع: ويقصد بها اجتماع آباء الكنيسة وأساقفتها للتشريع او البت في قضايا هامة، او لبيان المفاهيم وايضاح التعاليم، كما ان من أسباب اجتماع آباء الكنيسة اختلاف رجال اللاهوت وظهور تيارات غير صحيحة الايمان كما عُبِرَ عنها، إذ ادعت لنفسها القداسة وراح أصحابها يدعون لأنفسهم سلطة الرسل[٢٨] لذا كانت الكنيسة مهددة منذ نشأتها الأولى لكثرة الاختلافات والنزاعات حول بعض العقائد وكذلك التيارات التي ظهرت _كما اشرنا لها قبل قليل_ هي من دعت رجال اللاهوت الكنسي للاجتماعات للخروج من الازمات التي كانت تعصف بالكنيسة بين الحين والآخر، اذ عقد اول مجمع للكنيسة المسيحية في اورشليم سنة ٥٠ ميلادي[٢٩]، والذي كان على اثر الخلاف بين المسيحيين واليهود حول فرض الشرائع والقوانين اليهودية على كل من يريد الدخول في الدين المسيحي وقد دارت المناقشات بين قطبي النزاع بين يعقوب ممثل يهود اورشليم وبطرس وبولس عن المسيحين، وقد استطاع بولس فرض رأيه على المجمع وذلك بعدم فرض الشرائع اليهودية على من أراد الدخول في المسيحية وبهذا حل الخلاف وأصبحت المسيحية بعيدة عن اليهودية وعقائدها بحسب الكنيسة[٣٠] وتكرر عقد هذه المجامع كثيراً ففي القرن الثاني اضطر رجال اللاهوت للاجتماع واستعمال سلطتهم لتحديد الكتب التي تحتوي على الحقائق الايمانية والذي يسع للمؤمنين اكرامها على انها كتب مقدسة واستعمالها في الإعلان الرسمي للبشارة المسيحية، ومما دعا رجال الدين المسيحي لاتخاذ هذا القرار ايضاً هو ظهور تيارات _كما اشرنا لها آنفاً_ دعت لنفسها القداسة وسلطة الرسل لذا وجب على رجال الكنيسة بيان موقفهم منها[٣١]، وهكذا استمر آباء الكنيسة واساقفتها بهذه الاجتماعات عندما تدعوا الضرورة لذلك وقد كان من اشهر واهم هذه المجامع هو مجمع نيقية الذي عقد في سنة ٣٢٥ ميلادي والذي دعا اليه الامبراطور قسطنطين(٣٠٦-٣٣٧مـــ) الذي اقبل على اعتناق الدين المسيحي وهذا ما أشارت له المصادر[٣٢] الاّ أنّ هناك من يذهب الى أنَّ وجود سبب آخر وراء دعوة الامبراطور قسطنطين آباء الكنيسة الى نيقية للاجتماع وهو تعاظم نفوذ الكنيسة وقوة سلطانها فأراد الامبراطور بهذه الحركة فصل الدين ورجاله عن السياسة وابعاد احتمال الدخول مع رجال الكنيسة بصراعات حادة، وحتى تبقى سلطة الامبراطور فوق جميع السلطات في الامبراطورية وحتى الدينية[٣٣]، ومهما يكن من وراء فعله هذا فمن وجهة نظرنا ان عملهِ هذا كان فعلاً صائباً جنب الكنيسة والامبراطورية معاً صراعات لا تحمد عقباها إن حدثت.

وعلى اية حال أجتمع في نيقية ما يقرب عن الفين وثمانية وأربعين(٢٠٤٨) اسقفاً وكانوا مختلفين في الآراء والمذاهب[٣٤]، وقد وصف احد رجال اللاهوت المسيحي مجمع نيقية قائلاً: لقد اجتمع في هذا المجمع من جميع انحاء الأرض الفا مبعوث روحاني وعشرات الاناجيل ومئات الرسائل الى نيقية لأجل التدقيق[٣٥] ودارت محاور هذا المجمع حول قضايا مهمة كانت قضية الوهية المسيح (عليه السلام) وكذلك الاناجيل

وكتب العهد الجديد اهم تلك القضايا التي نوقشت في هذا المجمع وقد اتخذت فيه قرارات عدة أهمها رفض النظرية التي تقول ان المسيح (عليه السلام) بشر مرسل والاقرار بالوهية المسيح، وصدور قانون الايمان الذي ينص على ان الأبن مساوٍ للاب في الجوهر[٣٦]، وقد أدى هذا القرار الى حرمان وطرد من لا يعتقد به، وهو ما حدث لأريوس[٣٧] احد قساوسة الإسكندرية الذي كان يعتقد ان المسيح (عليه السلام) انسان مرسل من الله عز وجل اذ تم اتخاذ قرار بتكفيره وطرده من مجمع نيقية[٣٨]؛ كما اتفق الأساقفة المذكرون لدى قسطنطين كما يذكر ابن البطريق[٣٩] على وضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن، فمن القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة المجتمعين في مجمع نيقية هي محاولتهم وضع نص موحد للعهد الجديد تتفق عليه كل الكنائس المسيحية[٤٠] فتقرر حينها تعيين وتصديق كتب العهد الجديد وكان ذلك مستندا على أساس رفض جميع الكتب المسيحية الكثيرة المشتملة على تعاليم لا توافق ما ذهب به مجمع نيقيه والتي لا تقول بألوهية المسيح (عليه السلام) واحراقها كلها[٤١] فقد تم التصويت على اختيار الاناجيل الأربعة(أنجيل متى، أنجيل مرقس، أنجيل لوقا، أجيل يوحنا)[٤٢]، والقول بأنها كُتِبَت بإلهام من الروح القدس[٤٣]، وقد أدى هذا الاعتقاد بقداسة الاناجيل الى إعطاء صفة الالهام الى كُتابِ هذه الاناجيل من قبل الكنيسة على الرغم من رفضها لهذه التهمة وقولها: ان ما تحتويه هذه الكتب هو ما دفع الكنيسة تميزها دون سواها من الكتب الأخرى [٤٤].

وعلى اية حال فأن كتب العهد الجديد لم تكن ضمن عداد الكتب المقدسة قبل القرن الرابع الميلادي، وتحديداً قبل انعقاد مجمع نيقيه اذ لم تكن هذه الكتب معترفاً بها ومصدقة لدى الكنيسة بشكل خاص والعالم المسيحي بشكل عام قبل قرار مجمع نيقيه الخاص بالاعتراف بها والقول بقداستها [٤٥]، الا ان هذه الاناجيل حتى بعد هذا الإقرار والاعتراف بها لم تحظ بتأييد جميع رجال الكنيسة واساقفتها وبقيت اطراف عديدة رافضة لفكرة قداسة هذه الكتب وترى ان اطلاق كلمة انجيل على كتب العهد الجديد غلطٌ وزورٌ لا يمكن لأحد غفرانه والعفو عنه الا المسيح (عليه السلام)[٤٦].

ومهما يكن من امر الاعتقاد بقداستها من عدمهِ فأنها شكلت حلقة من اهم حلقات التشريع المسيحي وعدت مصدراً من مصادر الدين المسيحي، وعد القرن الذي اعترف فيه بالأناجيل وبرزت فيه المجامع _وهو القرن الرابع الميلادي_ نهضة الفكر اللاهوتي، وبداية الانطلاقة نحو عقائد لاهوتية ملزمة لجميع المسيحيين وقد ظهر فيه كثيرٌ من العلماء اللاهوتيين الذين أصبحوا نبراس اللاهوت المسيحي فيما بعد[٤٧] .

وفي نهاية هذا المبحث يمكن أن نخلص الى انَّ مصادر التشريع المسيحي _وهذا بحسب رأي القائلين بالديانة المسيحية او المختصين بدراسة الفكر اللاهوتي المسيحي_ تعددت بين الكتاب المقدس وتعاليم المسيح عيسى _عليه السلام_ ثم ما تركه الرسل من تعاليم ومؤلفات ليأتي دور آباء الكنيسة ومعلموها لنقل الايمان المسيحي وشرحه بطرق اكثر بساطة للعامة من الناس فالمسيح _عليه السلام_ بلغ الانجيل لتلاميذه وسامعيه والحواريون بلغوا مضمون ذلك الانجيل الى معاونيهم واخلافهم[٤٨][٤٩] وكانت للمجامع المسيحية دور مهم في التشريع المسيحي وقد لخصت فكرة التشريع المسيحي بقول اوغسطين مخاطباً الموعظين بالقول: حان الوقت لكي نسلمكم القانون الذي يحوي كلمات قليلة كل ما ينبغي ان تؤمنوا به لتنالوا الخلاص الابدي[٥٠]، لان كل

ديانة تفسد وتتلاشى من غير وجود اشخاص دائماً ليشرحوها ويعلموها[٥١] لكن هل يصح لنا القول: ان كل ما جاءت به المسيحية اليوم من تعاليم وقوانين هي ما دعا اليها المسيح _عليه السلام_ ونادى بها قطعاً كلا لانّ المسيحيين من المنطقي كانوا يعتقدون اعتقاداً ثم مَرَّ الزمن فتغير ذلك الاعتقاد او زيد عليه ومعنى ذلك ان التعاليم المسيحية اختلفت باختلاف الجماعات واختلاف الازمان، ناهيك عن مجمع نيقية وقراراته المجحفة بحق بعض أساقفة الكنيسة المسيحية وحرقه لعديد من الكتب المسيحية التي كانت من المؤكد تحمل كثيراً من التعاليم الصحيحة، لذا نرى البعض ذهب الى القول: ان جميع فرق المسيحية اليوم خارجون عن تعاليم المسيح _عليه السلام_[٥٢]، بل ذهبوا الى اكثر من هذا الى القول: ان المسيحية ابتدأت دينا الاهيا وانتهت الى ديانة وثنية[٥٣] ومع اني اضع كف الاحترام على صدري لجميع الآراء التي قيلت الا انها مجرد آراء تعود لأصحابها ولا اجد نفسي مجبراً على قبولها او الاخذ بها، وتبقى الديانة المسيحية من وجهة نظرنا ديانة سماوية اختلطت فيها من الخرافات والتعاليم المشبوهة كما اختلط هذا الامر في بعض الديانات السماوية الأخرى وهي بحاجة لإعادة النظر فيها وإخراج الموضوعات منها وهو امر ليس بيسير على الباحثين الكرام ، ودراستي لموضوع مصادر التشريع هو لوضع القارئ بصورة اكثر ايضاحاً على بعض مصادر التشريع الأساسية في تلك الديانة دون الخوض في مذاهب وفرق المسيحية ومصادرها لأنها كثيرة ومتشعبة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فكل ما اردناه بيان اهم وابرز مصادر تشريع المسيحية لا غير.

الخاتمة:

١. تعددت مصادر التشريع الديني في الديانة المسيحية حسب اهمية تلك المصادر، اذ كان للكتاب المقدس اهمية كبيرة بوصفه مصدر التشريع الرئيس للكنيسة، وهو عبارة عن مجموعة اسفار وأناجيل من العهدين القديم والجديد ، اعتقد المسيحيون بقداسة العهد القديم في اول الامر ثم توسع ذلك الاعتقاد ليشمل العهد الجديد، اذ كانوا يعتقدون ان جميع ما جاء به الكتاب المقدس من العهدين القديم والجديد خالٍ من الخطأ او شبه الخطأ، ولهذا شكل الكتاب المقدس بعهديه مصدراً هاماً من مصادر التشريع المسيحي الذي اعتمد عليها رجال اللاهوت الكنسي في بيان تعاليم وقوانين الديانة وتنظيم حياة الافراد داخل المجتمع المسيحي.

٢. يعد الرسل (التلاميذ) سفراء النبي عيسى (عليه والسلام) للناس، وهم الرجال الالهيين والشهود الحقيقيين على الايمان كما كان الاعتقاد سائداً، فالمسيح (عليه السلام) بلغ الانجيل الى تلاميذه وسامعيه والحواريون بلغوا مضمون ذلك الانجيل الى اخلافهم، لذا فإنهم يعدون مصدراً من مصادر التشريع المسيحي وقوانينهم تعد اليوم ضمن قائمة المصادر الأساسية للمشرع المسيحي.

٣. من مصادر التشريع الهامة كتاب الكنيسة القدامى الذين عرفوا بآباء الكنيسة او الآباء الرسوليين وقد تولى هؤلاء قيادة الكنيسة واخذوا على مسؤوليتهم نقل الايمان المسيحي، فهم الحلقة الأولى من سلسلة التقليد المسيحي ففي مؤلفاتهم نلحظ كيف فهم المسيحيون الايمان الذي نقلهُ الرسل، فكانت تعاليمهم تعد مصدر مهم اعتمد عليه رجال اللاهوت الكنسي لفرض القوانين واصدار التشريعات المسيحية.

٤. من المصادر الاخرى التي لا تقل اهمية عن باقي المصادر في الديانة المسيحية وهي المجامع التي ادت ادوار بالغة الاهمية في جميع مفاصل الحياة الدينية المسيحية، فقد حاول رجال اللاهوت الكنسي الاجتماع كلما دعت الضرورة لذلك لإصدار او اقرار بعض القوانين والتعاليم الخاصة بالمشرع المسيحي لذا كانت المجامع تتمتع بقدر كافٍ من الاهمية لفرضها بعض القوانين ومتابعتها الدقيقة لكل ما يصدر من تشريعات من قبل رجال الكنيسة المسيحية بشقيها الشرقية والغربية، فشكلت مصدراً هاماً من مصادر التشريع المسيحي.

٥. يعتقد الباحث ان دراسة هذا الموضوع الهام يحتاج لدراسات عديدة لبيان اهم المصادر التي نقلت التشريعات المسيحية واعتمد عليها رجال الكنيسة عبر قرون من الزمن لذا فأن هذه الدراسة تعد محاولة بسيطة لإماطة اللثام عن بعض تلك المصادر بانتظار دراسات اخرى تبين اهمية مصادر التشريع واهم الركائز التي يستند عليها المشرع المسيحي في عملهِ.

الهوامش

(١) ان لفظ المسيحية: هو اللفظ المتداول علمياً حالياً والدال على ديانة عيسى _عليه السلام_ وإلا تاريخياً فللديانة الفاظ اخرى وكل منها لها فلسفتها مثل النصرانية والابيونية، وللقرآن الكريم مصطلحه وفلسفتهِ، وكتب الاديان وأرباب التاريخ لهم فلسفتهم ايضاً؛ لكن كي نبعد عن جميع هذه الفلسفات التي قد تبعدنا عن مبتغانا في شرح مفهوم التشريع للديانات السماوية اعتمدنا على المصطلح المشهور بين الناس وبالأخص الباحثين وهو مصطلح(المسيحية)

(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٥

(٣) سورة الزخرف، آية ٤٥

(٤) الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح الخامس، ١٧

(٥) الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح الخامس، ٢١-٢٢

(٦) الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح الخامس، ٣٨-٣٩

(٧) محمد ، قراءات في الكتب المقدسة، ، جـ٢، ص١٢١

(٨) درين ، مدخل العهد الجديد، ، ص٦٩

(٩) درين، مدخل الى العهد الجديد، ص ٨٦-٨٧

(١٠) درين، مدخل الى العهد الجديد، ص ١١٤

(١١) درين، مدخل الى العهد الجديد، ص ٦٩-٧٦

(١٢) الكلام ، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ص٢٣٧

(١٣) الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ص٢٣٧

(١٤) بسترس ، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص٣٨

(١٥) داود ، الانجيل والصلب، ص١٤

(١٦) شرقاوي ، يسوع النصراني الجنّى.. مسيح بولس دفاع عن المسيح ابن مريم (عليه السلام) من واقع الأصول اليونانية، ص ٣٧

(١٧) الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي _ يسوع المسيح عبر الأجيال، جـ١، ص٥٦

(١٨) داود، الانجيل والصلب، ص ٦٥

(١٩) المقاري ، الدايداخي أي تعليم الرسل ، ص ٣٠-٣١

(٢٠) المقاري، الدايداخي أي تعليم الرسل، ص٣١

(٢١) شرقاوي، يسوع النصراني، ص٣٧

(٢٢) فلتس ، مدخل الى علم الإبائيات، ص٧

(٢٣) بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١١٢؛ شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص١٢٩

(٢٤) بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١١٢

[٢٥] بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١١٢
[٢٦] شلبي ، مقارنة الأديان _المسيحية_ ، ص١٠٠
[٢٧] بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١١٣
[٢٨] بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص٣٨
[٢٩] عبد الوهاب ، الحرب المشروعة في الأديان_ اليهودية_ المسيحية_ الاسلام، ص ٢٦
[٣٠] الشيخ ، لاهوت المسيح في المسيحية والاسلام، ص١٠١
[٣١] بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص٣٨
[٣٢] شحاته ، الاختلافات في الكتاب المقدس، دار الكتب المصرية، ص ٩
[٣٣] وناس. زمان عبيد، استاذ التاريخ الاسلامي، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠١٨/٣/٢٦
[٣٤] ابن البطريق، تاريخ ابن البطريق، ص٧١
[٣٥] داود، الانجيل والصلب ص١٧؛ شحاته، الاختلافات في الكتاب المقدس، ص١١
[٣٦] غربال، الموسوعة العربية الميسرة، جـ ٧، ص٣٤٥٠
[٣٧] اريوس: لاهوتي مسيحي، كان قساً في الاسكندرية، اسس الآريوسية (٢٥٦-٣٣٦ميلادي)، وتتلخص نظريتهِ الآريوسية بأن الاب (الاقنوم الاول) قد خلق الابن (الاقنوم الثاني) قبل خلق العالم، وبذلك يكون الابن غير ازلي وغير مساوٍ للاب، وبعدما انتشرت هذه الافكار بنطاق واسع انعقد مجمع محلي بالإسكندرية سنة ٣٢١ ميلادي وادان القس اريوس وجرده من رتبتهِ الكهنوتيهِ وطرده من الاسكندرية، فتوسط اساقفة سوريا لدى البابا فأعاده، غير انه حاول مرة اخرى نشر افكاره الاريوسية، مما هدد العالم المسيحي بالانشقاق فدعا الامبراطور قسطنطين لعقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ ميلادي الذي ادان اريوس وابعده من الكهنوت، وطرد جميع الاساقفة الذين يعتقدون بأفكاره. ينظر:
غربال، الموسوعة العربية الميسرة، جـ١، ص٢٤٧
[٣٨] شحاته، الاختلافات في الكتاب المقدس، ص ١٣
[٣٩] تاريخ ابن البطريق، ص ٧٤
[٤٠] شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص٢١
[٤١] داود، الانجيل والصلب، ١٧؛ شحاته، الاختلافات في الكتاب المقدس، ص ١٣
[٤٢] شحاته، الاختلافات في الكتاب المقدس، ص ١٣
[٤٣] داود، الانجيل والصلب، ص ١٤
[٤٤] شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص٢٣
[٤٥] داود، الانجيل والصلب، ص١٢-١٣
[٤٦] داود، الانجيل والصلب، ص٢١
[٤٧] شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص١٥٦؛ بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١١٤
[٤٨] داود، الانجيل والصلب، ص٦٥
[٤٩] اما نحن فنقول: ان ما نسب الى قولهم بأن التشريع المسيحي اقتبس تعاليمه من قول المسيح وحواريه فان هذا ليس له من الصحة ما يدعنا نثق فيه، سيما وانا اشرنا مسبقاً لعديد من الآيات القرآنية التي تثبت بطلان قول النصارى او المسيحية في دعواهم؛ لكننا نقول: انها تعاليم أرباب اللاهوت وعدوها تشريعاً نسبوه للناسوت الالهي عيسى _عليه السلام_، لكن الحق ما قلناه ان للمجامع المسيحية اثر مهم في التشريع المسيحي وهذا ما سنبينه في الصفحة اللاحقة.
[٥٠] بسترس، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص١٥
[٥١] موسهيم ، تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة، ص٢٨
[٥٢] داود، الانجيل والصلب ، ص١٤٨
[٥٣] الشيخ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام_ دراسة مقارنة، ص١٠

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس

اولاً: المصادر الاولية :

ـــــــــ ابن البطريق. سعيد (ت٣٢٨هـ)

١. تاريخ ابن البطريق

ثانياً: المراجع الثانوية:
ـــــــ بسترس. كريلس سليم وآخرون
٢. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة

ط١، المكتبة البوليسية، بيروت، ٢٠٠١مـ
ـــــــ الخضري. حنا جرجس
٣. تاريخ الفكر المسيحي _ يسوع المسيح عبر الأجيال

دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١مـ
ـــــــ داود. عبد الواحد
٤. الانجيل والصلب

ـــــــ درين. جون
٥. مدخل العهد الجديد

تر. إيهاب جوزيف وفنيس نيقولا، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥مـ
ـــــــ شحاته. سميرة سامي
٦. الاختلافات في الكتاب المقدس

دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤مـ
ـــــــ شرقاوي. جمال الدين
٧. يسوع النصراني الجنّى.. مسيح بولس دفاع عن المسيح ابن مريم (عليه السلام) من واقع الأصول اليونانية

ط١، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٦مـ
ـــــــ شلبي. احمد
٨. مقارنة الأديان _المسيحية_

ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨مـ
ـــــــ شنودة الثالث
٩. لاهوت المسيح

ط٩، د/مـ، ٢٠٠٣مـ
ـــــــ الشيخ. علي
١٠. لاهوت المسيح في المسيحية والاسلام

مركز الأبحاث العقائدية، النجف الاشرف، د/ت
ـــــــ عبد الوهاب. احمد
١١. الحرب المشروعة في الأديان_ اليهودية_ المسيحية_ الاسلام

ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٠مـ/١٤٢١هـ
ـــــــ غربال. محمد شفيق وآخرون
١٢. الموسوعة العربية الميسرة

ط١، المكتبة العصرية، بيروت،١٤٣١هـ/٢٠١٠مـ،
ـــــــ فلتس. جوزيف موريس وجورج عوض

١٣. مدخل الى علم الإبائيات

ط١، دار الجيل، ٢٠٠١مـ
ـــــــــ الكلام. يوسف
١٤. تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس

ط١، دار صفحات، دمشق، ٢٠٠٩مـ
ـــــــــ محمد. عبد الرحيم
١٥. قراءات في الكتب المقدسة

ـــــــــ المقاري. اثناسيوس
١٦. الدايداخي أي تعليم الرسل

ط١، مكتبة المنار، القاهرة، ٢٠٠٠مـ
ـــــــــ موسهيم. يوحنا لورنس فان
١٧. تاريخ الكنيسة القديمة والحديثة

مطبعة الأمير كانية، بيروت، د/ت
ثالثاً: المقابلات الشخصية:
ـــــــــ وناس. زمان عبيد
١٨. مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠١٨/٣/٢٦مـ.